وفي الاية تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان ثم امر نبيه عليه السلام بان يقول لاهل مكة قل يا ايها
الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشان
ما بلغ اليهم قال الشيخ والمعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين ارسلتك اليهم فشكوا في امرك ولم يؤمنوا بك ان
كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم في صحته وسداده فاني نظرت الى دينكم وعرفت
انه باطل وانما حصل الشك لبعضهم في امره صلى الله عليه وسلم لما راى الايات التي كانت تظهر على يد النبي صلى
الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا ينبغي ولا
يصح لكم ان تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وانتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما
ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم هذه الاصنام التي لا اصل لها البتة فاني ناصر تم على ما انتم عليه فلا
اعبد الذين تعبدون من دون الله اي من غير الله وهو الاصنام وانما وجب تقديم هذا
النفي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاخس الاشياء وهي الحجارة التي لا تنفع لمن عبدها
ولا تضر لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاحياء والاماتة وهو قوله
عز وجل ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي يميتكم ويقبض ارواحكم عند انقضاء اجالكم
فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها
وتعلموا انها لا مدخل للشك فيها وامرت ان اكون من المؤمنين اي امرني الله بان اكون من جملة
المصدقين بما انزل الله الي من الوحي وبما دل العقل على صحته ووافق قانون الشرع وحذف الجار
من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به وقيل لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر الايمان لانه من اعمال
القلوب وان اقم وجهك للدين حنيفا والواو في قوله وان اقم واو عطف معناه وامرت ان
اقيم وجهك يعني اقم نفسك على دين الاسلام حنيفا اي مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه
اقم عملك على الدين الحنيف وقيل اراد بقوله وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين
الحنيف غير مايل عنه قال الاستاذ المعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرايض
والانتهاء عن القبايح وامرت بالاستقامة في الصلاة باستقبال القبلة وحنيفا حال من الدين او من
الوجه او وجد لقوله ملة ابراهيم ولقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وفي
الغاية قوله وان اقم عطف على ان اكون صلة ان هنا انشاء والانشاء والخبر في ذلك سيان والمعنى
امرت بالايمان والاستقامة والاخلاص فيه او الاول اشارة الى الاصول والعقايد وهذا الى الفروع كاداء
الفرايض واستقبال القبلة والوجه اريد به الذات انتهى وقال ابن الخطيب اقامة الوجه كناية عن
توجيه العقل بالكلية الى طلب الدين لان من يريد ان ينظر الى شيء نظر استقصاء فانه يقيم وجهه
في مقابلته بحيث لا يصرفه عنه لانه لو صرفه عنه ولو بالقليل بطلت تلك المقابلة واذا بطلت
المقابلة اختل الابصار فلهذا جعل اقامة الوجه كناية عن صرف العقل بالكلية الى طلب الدين وفي
المدارك وادى الى ان اقم ليشاكل قوله امرت استقم مقبلا بوجهك على ما امرك الله او استقم ولا تلتفت
يمينا وشمالا ولا تكونن من المشركين وفي اللباب يعني ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه
غيره

مكتبة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

غيره فيهلك قال الاستاذ هذا عطف على اقم داخل تحت الامر وهذا لا يمكن ان يكون نهيا عن عبادة الاوثان
لان ذلك مذكور في قوله اول الاية لا اعبد الذين تدعون من دون فلا بد من حمل هذا النهي على
فايدة زايدة وهي ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع اسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة
لا غيره فلا ينبغي له ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذي يسميه اصحاب القلوب بالشرك
الخفي قال ابو السعود في تفسيره هذا عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكن منهم اعتقادا ولا
عملا قال ملا حسين الواعظ اراد بقوله ولا تكونن الى الامة قلت هذا هو الظاهر كما مر نظاير هذا
قوله ولا تدع اي لا تعبد اراد به الامة عطف على قوله اقم داخل في صلة ان من دون الله
اي غير الله استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك ان عبدته ودعوته لدفع مكروه او جلب محبوب
وما يجوز ان تكون نكرة موصوفة وان تكون موصولة ولا يضرك ان تركته وعصيته فان
فعلت فرضا وتقديرا ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كنى عنه بالفعل تنويها لشانه
صلى الله عليه وسلم وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله عز وجل فانك اذا
من الظالمين اي لنفسك ايها الانسان لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهو جزاء الشرط
وجواب لسوال من يسال عن تبعة ما نهي عنه واعلم ان هذا الخطاب وامثال هذا مما ذكرنا وما سياتي
وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره البتة لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من
دون الله شيئا اصلا لا قبل النبوة ولا بعده فيكون المعنى ولا تدع ايها الانسان من دون
الله ما لا ينفعك الاية الله اعلم وقوله عز وجل وان يمسسك الله بضر اي وان
يصبك الله بشدة وبلاء فهذا تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع والضر عن الاصنام و
لاختصاصه به سبحانه وتعالى فلا كاشف له اي لا رافع لذلك الضر الذي انزله بك
كاينا من كان وما كان الا هو اي الا الله وحده فثبت عدم كشف الاصنام وغيرها
بالطريق البرهاني وان يردك بخير اي وان يرد يصيبك بسعة ورخاء فلا راد
اي فلا دافع لفضله الذي به من الرزق وغيره اي لا احد يقدر على رد مراده كاينا ما كان
ومن فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا يصيب به اي بالخير وفي اللباب اي بكل احد من
الضر والخير من يشاء من عباده اي يخص بالخير او الضر والخير من يشاء من خلقهم
وقيل انه تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على ضر ولا نفع بين انه هو القادر على
ذلك كله وان جميع الكاينات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر
على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الاية بقوله وهو الغفور
الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية وفي الاية لطيفة
اخرى وهي ان الله تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه لما ذكر امساس الضر
بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء
من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على
ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعني الساتر لذنوب

Copyright © King Saud University